الاتجاه العاطفي في نقد المرأة لشعر الرجل
في النقد العربي القديم إلى آخر القرن الثاني الهجري

دكتور
محمد بن عبدالله منور آل مبارك
أستاذ مشارك قسم اللغة العربية وآدابها
كلية الآداب - جامعة الملك سعود
الرياض

الملخـــــص

يتناول هذا البحث جانباً مهماً من مجهودات المــرأة العربيــة النقدية في النقد العربي القديم، وهو نقدها لشعر الرجل في جانب من جوانبه، وهو الجانب النقدي العاطفي، الذي يكــون فيــه للعاطفــة حضورها الواضح والجلي في تشكيل المقولة النقدية لدى المرأة، وقد حاول البحث الوقوف على نماذج لذلك الاتجاه النقــدي، وصــنفها، ودرسها دراسة علمية تحليلية، للكشف عن العوامل المؤثرة في هــذا المنحى النقدي للمرأة العربية، وقد نتج عن هــذه الدراســة إظهــار جملة من المقولات النقدية للمرأة العربية في أدبنا القديم، تناولت فيه شعر الرجل بخصوصية نقدية في جانبيها المضموني والفني، تتميــز بشيء من الرؤية الخاصة بالمرأة المتأثرة بعلاقتها بالرجل، والقائمة على البعد العاطفي القلبي، الذي يعد من قــوام المــرأة وطبيعتهــا الأنثوية، وقد اتسم ذلك النقد بسمات فنية ومضمونية، حاول البحــث تجليتها، وإبرازها؛ لتمثل إضافة علمية في خطاب المــرأة العربيــة النقدي بخاصة، وفي خطابنا النقدي العربي بعامة.

الكلمات المفتاحية: نقد المرأة، الاتجاه العاطفي، شعر الرجل، النقــد القديم، الأدب العربي.

دكتور
محمد بن عبدالله منور آل مبارك
أستاذ مشارك قسم اللغة العربية وآدابها
كلية الآداب - جامعة الملك سعود - الرياض
mmunwer@ksu.edu.sa

Abstract

This research deals with an important aspect of the Arab woman's critical contributions in classical Arabic criticism, regarding man's poetry in one of its aspects, that is the emotional critical aspect, in which emotion has a clear presence in the formation of the critical stands of women. The research has tried to find examples of that Critical trend, its classification, and its study in an analytical scientific Way in order to uncover the factors affecting this critical approach taken by Arab women

This study resulted in a set of critical stands of Arab women in our classical literature, in which they dealt with man's poetry with a critical specificity in its contextual and artistic aspects. This criticism was characterized by certain technical and contextual features, which we tried to clarify and highlight in order to represent a scholarly addition to women's critical discourse in particular, and to Arabic criticism in general.

Keywords: criticism of women, emotional trend, men's poetry, ancient criticism, Arabic literature.

Dr
Mohammed Abdullah Munwer Al Mubarak
King Saud University-Riyadh
mmunwer@ksu.edu.sa

موضوع البحث وأهميته

يتناول هذا البحث جانبا مهما من مجهودات المرأة العربية في النقد العربي القديم وهو نقدها لشعر الرجل في اتجاه مهم من اتجاهاته كان له حضوره القوي في المنجز النقدي العربي وهو الاتجاه النقدي العاطفي، الذي يكون فيه للعاطفة حضورها الواضح والجلي في تشكيل المقولة النقدية النسائية. ومحاولة جمع نماذج نقدية نسائية تتناول شعر الرجل وتصنيفها ودراستها وتحليلها تحليلاً فنياً، للكشف عن العوامل المؤثرة في هذا المنحى النقدي النسائي العربي. وتأتي أهمية هذا البحث فيما لاحظه الباحث من وجود مقولات نقدية للمرأة العربية في شعر الرجل ذات خصوصية مضمونية وفنية تتميز بشيء من الرؤية الخاصة بالمرأة، ومتأثرة بطبيعتها الأنثوية، وبعلاقتها بالرجل أو قل بعلاقة جنس الأنثى بجنس الذكر، وقائمة على البعد العاطفي القلبي الذي يعد من قوام المرأة بطبيعتها الانثوية.

وقد اتسم ذلك النقد بسمات فنية ومضمونية توضح طبيعة تلك العلاقة الحياتية النابعة من طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة والذكر والأنثى.

وتأتي أهمية البحث في هذا الموضوع في كونه يبحث ويحلل ويدرس خطاباً نقدياً يكاد يكون بعيداً عن متناول الباحثين والمتلقين له، لا من حيث غيابه وقلته في المدونات والمصادر العربية القديمة،

بل لقلة البحث فيه، وإعطائه حقه القمين بـــه فـــي خطابنـــا النقـــدي الأدبي. بمعنى أن البحث في مجهودات المرأة الأدبية بل مجهوداتها النقدية في أبحاثنا العلمية وثقافتنا العربية المعاصرة تكاد تكون قليلـــة بل نادرة فيما يخص أدبنا العربي القديم(١). على الرغم مـــن وجـــود مشاركات أدبية للمرأة العربية من بدايات تاريخنا العربية في العصر الجاهلي وما تلاه من عصورنا الأدبية، وأن تلك المشاركات تستحق الكشف عنها وإبرازها ودراستها(٢)، وأن هناك غبشاً يحيط بجهـــود

(١) المجالي، محمد أحمد، المرأة الناقدة في الأدب العربي، مجلة أم القـــرى، مج (٥) ع (٢٠)، (محرم ١٤٣٩ه –أكتوبر– ٢٠١٧م) ص٢، موقع عين الجامعة: https://ebook.univeyes.com/111040/pdf–، مسترجع بتأريخ ٢٠٢١/٠٤/٢٥م ، وصغير، فاطمة، جهود المرأة العربية في النقد العربي القديم، مجلة المخبـــر، ع (١) مـــج (١٠)، (٢٠١٤م)، ص٣٨٣، جامعة بســـكرة، الجزائـــر، مـــن الـــرابط http://archives.univ– biskra.dz/bitstream/123456789/3607/1/23.pdf مســـــترجع بتاريخ ٢٥ /٤/٢٠٢١م.

(٢) الكندي، امرؤ القيس، ديوانه، تحقيق محمد أبـــو الفضـــل إبـــراهيم، دار المعارف، ط٤، ١٩٨٤م، ص٤٠. وابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشـــعر والشـــعراء، دار المعـــارف، (ط٢) ١٣٧٧ه–١٩٥٨م، القـــاهرة، ج١، ص٢١٨–٢٢١. والأصبهاني، علي بن الحسين، الأغـــاني، (د. ط) (د. ت) (مصورة عن دار الكتب)، ج٢١ ص٢٠٠–٢٠٣. والمرزباني، محمد بن عمران، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، تحقيق محمد حسين=

المرأة العربية، وهذا الغبش في الرؤية حول نقد المرأة العربية أوقع بعض الباحثين القدامى والمعاصرين في القول بتأخر المرأة عن الرجل في صناعة الأدب بعامة والنقد الأدبي بخاصة، فقد ورد عن المبرد قوله في معرض موازنته بين الخنساء وليلى الأخيلية في الشعر "وقلما رأيت المرأة تتقدم في صناعة"(١)، كما ذهب الباحث محمد أحمد المجالي إلى القول بأن بدايات الحركة النقدية النسائية قد جاءت متأخرة تكاد تكون وليدة القرن الخامس عشر الهجري والقرن العشرين الميلادي، حيث يقول: إن الوجود الحقيقي لهذا النقد –يقصد نقد المرأة العربية– لم يلحظ إلا في منتصف القرن العشرين، في حين أن نقد الرجل قد رافق الأدب منذ أقدم العصور المختلفة(٢). وبناءً على هذا فقد مايز المجالي في حقل النقد الأدبي بين نقد الرجل نقد المرأة، وذهب إلى أن هناك فارقاً كبيراً بين نقد الرجل ونقد

=شمس الدين، دار الكتب العلمية، (ط١) ١٤١٥ه– ١٩٩٥م، بيروت، ص٣١–٣٣، ١٨٩–٢٠٠

(١) القيرواني، إبراهيم بن علي الحصري، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق وشرح زكي مبارك ومحمد محي الدين عبدالحميد، دار الجيل بيروت ومكتبة المحتسب عمان، (ط٤) (١٩٧٢م) ٩٩٩/٤.

(٢) المجالي، محمد أحمد، المرأة الناقدة في الأدب العربي، مجلة أم القرى، مج (٥) ع (٢٠) محرم ١٤٣٩ه– اكتوبر ٢٠١٧م، ص١–٢.

المرأة كماً وكيفاً، وأن هذا التمايز لصالح الرجل على المرأة[1]، ومن ثم فإن أهمية بحثي هذا يكمن في أنه سيحاول من خلال عرض نماذج عدة ومتنوعة من نقد المرأة لشعر الرجل في الأدب العربي القديم وتحليلها في جانبها العاطفي أن يقدم ما يُصحح هذا المعتقد الذي يتوهم قلة نقد المرأة العربية بجانب نقد الرجل وضعفه، بما يمكن أن يعدل الميزان الحكمي هذا، كما تكمن أهمية هذا البحث فيما سيعرضه من مجهودات نقدية للمرأة العربية لشعر الرجل مما يوضح ما تميزت به تلك المشاركات النقدية للمرأة، التي تناولت شعر الرجل من خصوصيات فنية نابعة من طبيعة الحياة المجتمعية، التي كانت تعيشها المرأة العربية، وهي محاطة بالعديد من القيم والأخلاقيات في مجتمعها العربي القديم.

أسباب اختيار البحث وأهدافه

إن حاجة البحث العلمي في النقد لدراسة علمية تتناول نقد المرأة بعامة ونقدها لشعر الرجل بخاصة كانت سبباً رئيساً في اختيار هذا الموضوع والبحث فيه، وذلك لعدم وجود مثل هذه الدراسة الموجهة لهذا المنحى من الخطاب النقدي العربي، ولما لحظه الباحث من آثار نقدية تحمل خصوصيات مضمونية وفنية تكمن في هذا المجال النقدي الذي يلامس علاقة المرأة النقدية بنتاج الرجل الشعري،

(١) السابق، مج (٥) ع (٢٠) محرم ١٤٣٩هـ- اكتوبر ٢٠١٧م ص٤.

وبخاصة ذلك الشعر الموجه إليها وهي مادته وموضوعه، كذلك ما لاحظه الباحث من أن الجوانب العاطفية القلبية التي كانت تشكل مساحة واسعة من نقد المرأة لشعر الرجل صوّب البحث ووجهه نحو معالجة هذا الجانب (العاطفي القلبي) الذي كان يسيطر على منابع نقد المرأة لشعر الرجل، وأن يستأثر به ويدور حوله؛ ولذلك فإن هذا البحث يهدف ويتغيا الوقوف على مجهودات المرأة النقدية لشعر الرجل في الأدب العربي القديم إلى نهاية القرن الثاني الهجري، ودراسته وتحليله واستخراج سماته وخصائصه المضمونية والفنية لقلة الدراسات في هذا الجانب النقدي من نقدنا العربي القديم المحدد بنقدها لشعر الرجل، وباتجاهه العاطفي القلبي دون سواه من الاتجاهات النقدية، وندرة الدراسات المبرزة لمجهودات المرأة العربية النقدية والمجلي والمزيل لذلك الوهم والظن من بعض الباحثين بندرة مشاركة المرأة في الحياة النقدية الأدبية وقلتها وضعفها[1]. على الرغم من وجود مادة غنية متفرقة في مصادر

(١) السابق مج (٥) ع (٢٠) محرم ١٤٣٩هـ- اكتوبر ٢٠١٧م ص ٤-٨. والمانع، سعاد بن عبد العزيز، المرأة ونقد الشعر في بدايات النقد العربي، قراءة لنصوص النقد المنسوبة لسكينة بنت الحسين، نادي مكة الثقافي الأدبي ومؤسسة الانتشار الأدبي، بيروت، (ط١) ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م، ص١١-١٢. وصغير، فاطمة، جهود المرأة العربية في النقد العربي القديم، مجلة المخبر، ع (١) مج (١٠)، ص٣٨٣.

الأدب العربي القديم ونقده بعيدة عن متناول القارئ، إن هذا التوهم بغياب صوت المرأة النقدي قد علل بغياب دور المرأة الحضاري وبغياب مشاركتها في البناء الحضاري منذ القدم، وأن مشاركتها الفكرية عبر البناء الحضاري كانت هامشية، والنقد جزء من ذلك الدور الحضاري، كما أعيد ذلك الوهم للعادات والتقاليد التي كانت تحكم المجتمعات، ومكانة كل من الرجل والمرأة في تلك المجتمعات ودور كل منهما فيها، وغالى البعض فرد غياب دور المرأة النقدي المتوهم إلى القول بأن المرأة لا تتمتع بعمق ثقافي يمثل غياب النقد جزءا منه(١)، وفي تقديري أن هذا فيه شيء من المغامرة الحكمية سيتوافر هذا البحث- بعون الله- على توضيح ذلك وتجليته وتصحيحه فيما يخص مكانة المرأة النقدية بعامة، ونقدها لشعر الرجل بخاصة، وإن كتب التراث الأدبي والنقدي لتحوي مادة غزيرة تثبت مكانة المرأة النقدية، وتجلي الغبش عن الذي يوهم بضعف مكانة المرأة في النقد وقلة نصيبها منه، وأن تلك المادة النقدية الغزيرة لنقد المرأة في مدوناتنا العربية القديمة تحتاج إلى جهود بحثية تجمعها وتصنفها وتدرسها وتحللها، وتبرز ما فيها من

(١) المجالي، محمد أحمد، المرأة الناقدة في الأدب العربي، مجلة أم القرى، مج (٥) ع (٢٠) محرم ١٤٣٩هـ- اكتوبر ٢٠١٧م، ص٨. والقيرواني، إبراهيم بن علي، زهر الآداب وثمر الألباب، ٩٩٩/٤.

مجهودات نقدية للمرأة متنوعة ذات سمات وخصائص واتجاهات فنية تدل على ثراء المرأة في تلك الأحكام النقدية المطبوعة بطابعها الأنثوي المتأثر بعلاقتها بقسيمها في الحياة الرجل، مما سيقف بنا على خصوصيات فنية برزت وظهرت واضحة جلية على نقدها لشعر الرجل، وظهرت كخصوصية نقدية تميزت بها رؤية المرأة لطبيعة الشعر الذي ينتجه الرجل مما يتناول فيه المرأة ويصور علاقته بها، وكيف أن تلك الأحكام النقدية للمرأة تحاول أن توضح ما ينبغي أن تكون عليه طبيعة العلاقة التي ترى أنها يجب أن تسود علاقة الذكر بالأنثى والأنثى بالذكر.

ومما يدل على غنى الأحكام النقدية التي أنتجتها المرأة ما ذهب إليه كثير من الباحثين من القول بأن ناقدة مثل سكينة بنت الحسين كانت قد سيطرت على عصرها الأدبي في مجال النقد، وأنها كانت ذات بصر دقيق بفن القول وفقه أسرار العربية في الأداء(١)، وأن أمراء الشعر في زمانها قد أقروا لها بالسيطرة ليس خضوعا لجبروت جمالها وهيبة شرفها(٢)، بل لعلو كعبها في فن القول

(١) بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن، موسوعة آل النبي، دار الكتاب العربي، (ط١) (١٣٧٨ه- ١٩٦٧م) بيروت، ص٩٤٤.

(٢) مبارك، زكي، حب ابن أبي ربيعة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢م، القاهرة، ص١٢٠.

وحساسيتها المرهفة في ذوق الشعر، وإدراكها البصير لمواطن التأثير، ودوافع القول، وأسرار البلاغة والبيان، فتوصف سكينة بأنها الناقدة الأولى لعصرها(١).

فإذا كان هذا القول يوضح مكانة امرأة واحدة في خطابنا النقدي العربي فماذا عن سواها من الناقدات العربيات اللاتي عشن في الجاهلية والإسلام، واللاتي ملأن بنقدهن مدوناتنا العربية الأدبية القديمة من أمثال: أم جندب، والخنساء، وعائشة بنت طلحة، وعقيلة بنت عقيل بن أبي طالب، وعزة صاحبة كثير، وبثينة صاحبة جميل، والنوار زوج الفرزدق، وليلى الأخيلية، وغيرهن ممن سنقف في هذا البحث على أعمالهن النقدية التي تناولت شعر الرجل بخاصة، وشكل نقددهن عدداً من الاتجاهات الفنية وفي مقدمتها الاتجاه النقدي العاطفي الذي سوف يعنى به هذا البحث؛ ولذلك اتجه هذا البحث لدراسته وتحليله لتوضيح وتجلية سماته وخصائصه الفنية، ولإبراز هذا القدح المعلى للمرأة في عالم النقد الأدبي، وقد اختار الباحث دراسة الاتجاه العاطفي من نقد المرة لشعر الرجل؛ لما له من حضور طاغ على نقدها ولما اشتمل عليه من إلماحات نقدية ذات خصوصية فنية ومضمونية تحتاج إلى إبراز وتجلية.

---

(١) بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن، موسوعة أل النبي، ص ٩٣٦، ٩٤٦، ٩٥٠.

مشكلة البحث:

تتجلى مشكلة البحث في الاعتقاد السائد بقلة مشاركات المرأة في الأدب والنقد، وندرة ذلك وتصور قصور باع المرأة في تذوق الأدب ونقده والحكم عليه(١)، وأنه إن وجد نقد للمرأة لا يكاد يقترب من حيث الكثرة والجودة من نقد الرجل(٢)، كما تتجسد المشكلة كذلك في عدم وجود دراسة تبرز وتجلي اتجاهات نقد المرأة بعامة، واتجاهات نقدها لشعر الرجل منه بخاصة، يتلمس نماذج تلك الاتجاهات واهتماماتها وتفريعاتها النقدية، ويصنفها ويدرسها دراسة عليمة تسد ثغرتها المثلومة في النقد العربي القديم، وتجلي الضبابية التي تحيط بنقد المرأة الموجه لشعر الرجل، وطبيعته، وسماته، وخصائصه الفنية، التي تحتاج إلى كشف عنها وتجلية لها.

فرضية البحث

يفترض البحث أن هناك مادة غزيرة تتعلق بنقد المرأة العربية لشعر الرجل في مدوناتنا التراثية، تتوافر على عدد من الاتجاهات النقدية، يأتي في مقدمتها الاتجاه النقدي العاطفي القلبي، ويتسم بسمات وخصائص فنية ومضمونية ذات ملامح جمالية صادرة عن ذوق خاص بالمرأة وتمثل علاقة المرأة بالرجل والأنثى بالذكر

(١) المانع، سعاد، المرأة ونقد الشعر في بدايات النقد العربي، ص١١-١٢.

(٢) المجالي، محمد أحمد، محرم ١٤٣٩ه -أكتوبر- ٢٠١٧م، ص١-٤.

وتبرز فيها اتجاهات عاطفية تحتاج إلى البحث والدراسة والتحليل؛ للوقوف على أبرز سماتها وخصائصها النقدية، لذلك سوف يسعى البحث لإبراز ذلك وتجليته والكشف عنه من خلال نماذجه؛ للوصول إلى ما يتبدى عنه البحث من سمات وخصائص فنية لتلك الأعمال النقدية للمرأة فيما يتعلق بشعر الرجل ليمثل إضافة فنية إلى منجز المرأة العربية النقدي بخاصة وإلى الخطاب النقدي العربي بعامة.

أسئلة البحث:

إن هذه الدراسة بما تحويه من مشكلات بحثية وفرضيات تحاول التعرف عليها وتوضيحها ودراستها تقتضي الإجابة على عدد من الأسئلة البحثية، منها:

[١] ما مدى حضور الخطاب النقدي النسائي في أدبنا العربي القديم، وما مقدار حضور نقد المرأة لشعر الرجل فيه بخاصة؟

[٢] ما مكانة الاتجاه النقدي العاطفي بين الاتجاهات النقدية التي اشتمل عليها نقد المرأة لشعر الرجل؟

[٣] ما سمات وخصائص نقد المرأة لشعر الرجل الفنية والمضمونية؟

[٤] ما العوامل والمؤثرات الكامنة وراء بروز الاتجاه النقدي العاطفي في نقد المرأة لشعر الرجل؟

[٥] هل هناك خصائص وسمات فنية خاصة بنقد المرأة العاطفي لشعر الرجل؟

[٦] هل كان لطبيعة النوع الأنثوي أثر في نقد المرأة لشعر الرجل، وهل كان لطبيعة العلاقة بين المرأة والرجل أثر في نقدها لشعره؟

[٧] هل كان لقيم العاطفة والقلب التي تحكم علاقة المرأة بالرجل أثر في تشكل خطاب المرأة النقدي اتجاه شعر الرجل؟

مدونة البحث:

تتوافر مصادر الأدب العربي القديم ومراجعه على مادة نقدية غزيرة للمرأة العربية في بدايات النقد الأدبي العربي إلى آخر القرن الثاني الهجري من عمر تراثنا النقدي، والقسم الأعظم من تلك المادة النقدية التي أنتجتها المرأة كانت موجهة لشعر الرجل بخاصة، ولذلك الشعر الذي كانت هي موضوعه، وأن تلك المادة النقدية تمثل قسماً مهماً من المكون النقدي العربي القديم، وسوف تكون هذه المادة النقدية هي مدونة البحث التي سيدرسها ويحلل نماذجها، ويبرز ما فيها من اتجاه عاطفي قلبي لنقد المرأة لشعر الرجل، ومن أبرز تلك المدونات النقدية القديمة التي حوت نقد المرأة لشعر الرجل: كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني، وكتاب الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء لأبي عبد الله المرزباني، وكتاب مصارع العشاق

لجعفر بن أحمد السراج القارئ، وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة، وكتاب زهر الآداب وثمر الألباب لإبراهيم بن علي الحصري القيرواني، وكتاب وفيات الأعيان لابن خلكان، وكتاب المجموع اللفيف للأفطس القاضي محمد بن هبة الله الحسيني، والأمالي لأبي علي القالي، والعقد الفريد لابن عبد ربه، وبلاغات النساء لأحمد بن أبي طاهر بن طيفور، وغيرها من المصادر التي حوت مشاركات المرأة العربية ومطارحاتها ومجالسها النقدية في مدونات الأدب العربي القديم ونقده.

الدراسات السابقة:

يتناول هذا البحث موضوعاً بحثياً خاصاً ودقيقاً من نقد المرأة العربية في الأدب العربي القديم، وهو نقد المرأة لشعر الرجل في اتجاه من اتجاهاته وهو الاتجاه النقدي العاطفي الذي يعد أبرز اتجاهات نقد المرأة وأكثره حضورا. ولم أجد من سبقني في إفراد هذا الاتجاه بدراسة، ولقد تبين لي من تتبع مجهودات المرأة العربية النقدي بعامة قلة الدراسات التي تناولت جهودها في النقد الأدبي على الرغم من حضور صوتها النقدي مذ بدايات النقد العربي القديم وأولياته التي وصلتنا منذ العصر الجاهلي، وأن نقد المرأة من حيث

بداياته قد جاء متزامنا مع نقد الرجل في أدبنا العربي[١]، يؤكد هذا كذلك ما ذهب إليه بعض الباحثين من أن الدراسات في هذا المجال قليلة جدا، وتحتاج إلى مزيد من الدراسات والبحث والتحليل[٢].

وهذا قد أوقع بعض الباحثين في القول بأن بدايات الحركة النقدية النسائية قد جاءت متأخرة في منتصف القرن العشرين[٣]. إن هذا الغبش البحثي حول نقد المرأة في أدبنا العربي جاء من قلة الدراسات في هذا الجانب من خطابانا النقدي العربي، وقد نبهني للبحث في هذا الموضوع (الاتجاه العاطفي في نقد المرأة لشعر الرجل في الأدب العربي القديم) عدد من الدراسات السابقة التي تعرضت لنقد المرأة بعامة، وليس منها الجانب الذي توجهت إليه وهو الاتجاه العاطفي

---

(١) انظر حكومة أم جندب النقدية، ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ج١ ص٢١٨-٢٢١. وابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، المعاني الكبير، دار الكتب العلمية (ط١) (١٤٠٥ه -١٩٨٤م) بيروت، ج١ ص٨١-٨٢. والأصبهاني، أبو الفرج، الأغاني، ج٢١، ص٢٠٠-٢٠٣. والمرزباني، محمد بن عمران، ص٣١-٣٣. والمانع، سعاد، المرأة ونقد الشعر في بدايات النقد العربي، ص٧، ٦٣.

(٢) المجالي، محمد أحمد، المرأة الناقدة في الأدب العربي، مجلة أم القرى، مج (٥) ع (٢٠)، محرم ١٤٣٩ه -أكتوبر- ٢٠١٧م، ص١.

(٣) السابق، ص٤، ٥، ٨.

في نقد المرأة لشعر الرجل في الأدب العربي القديم، ومن تلك الدراسات:

١- بحث في مجلة جامعة أم القرى المجلد (٥) العدد (٢٠) محرم ١٤٣٩ه -أكتوبر ٢٠١٧م، بعنوان "المرأة الناقدة في الأدب العربي" للباحث محمد أحمد المجالي، تناول فيه نقد المرأة بعامة في العصر الحديث، وليس فيه تخصيص للبحث في نقد المرأة في الأدب العربي القديم، كذلك هو ليس خاصا بنقد المرأة لشعر الرجل في الأدب العربي القديم، بل إنه يقلل من أهمية وجود نقد للمرأة قبل القرن الخامس عشر الهجري/ القرن العشرين الميلادي، ولذلك وجهت بحثي هذا لإبراز وتجلية وإظهار نقد المرأة في القرون الأولى من حياة الأدب العربي، فصوت المرأة النقدي حاضر من العصر الجاهلي وازداد حضوراً في العصر الإسلامي الأموي كما سيوضحه هذا البحث.

٢- بحث بعنوان "جهود المرأة العربية في النقد العربي القديم"، للباحثة فاطمة صغير، منشور في مجلة المخبر الصادرة في جامعة بسكرة بالجزائر العدد(١٠)،٢٠١٤م"، وهو بحث يتناول كذلك عموم نقد المرأة وليس مخصصا في نقد المرأة لشعر الرجل في اتجاهه العاطفي القلبي ودراسة اتجاهات هذا النوع من النقد الذي سيتناوله

هذا البحث بدراسة خاصة ومستقلة توضح سماته الفنية والمضمونية.

٣- المرأة الناقدة في بدايات النقد العربي القديم، قراءة لنصوص النقد المنسوبة إلى سكينة بنت الحسين، للباحثة سعاد المانع، نادي مكة الثقافي، وهذا يتناول نقد سكينة دون سواها من الناقدات، كما يشمل عموم نقدها للشعر، أما بحثي هذا فهو مخصص لدراسة" نقد المرأة لشعر الرجل" في اتجاهه النقدي العاطفي؛ للتعرف على اتجاهات هذا النوع من النقد النسائي، وسماته وخصائصه الفنية، فهناك ناقدات كثر غير سكينة بنت الحسين تناولن شعر الرجل بخطاب نقدي له سماته وخصائصه الفنية وتحكمه علاقة المرأة بالرجل، لم يسبق تناوله بشكل خاص وهو قمين وجدير بالدراسة والتحليل لسد ثغرة نقدية في الخطاب النقدي العربي، لم يسبق سدها في خارطة النقد النسائي في الأدب العربي القديم مما يتناوله نقد المرأة لشعر الرجل بخاصة.

منهج البحث:

إن هذا البحث يتناول نقد المرأة لشعر الرجل في اتجاهه العاطفي القلبي وجوانبه الفنية والنفسية والاجتماعية، ولذلك سوف أعتمد في دراسته على المنهج الوصفي التحليلي مع الإفادة من المنهجين الاجتماعي والنفسي لتأثر هذا النوع من النقد بطبيعة العلاقة الحياتية التي تربط المرأة بالرجل في الحياة.

التمهـــــيد

تنقل لنا مدونات النقد الأدبي القديم التي أرّخت للنقد العربي منـــذ بداياته في العصر الجاهلي أن نقد المرأة من حيث بداياته قـــد جـــاء متزامنا مع نقد الرجل، فالجهود النقدية التي تعود للقرنين الأوليـــين من عمر النقد العربي (الجاهلي والإسلامي) هي جهود نقدية تنتمـــي إلى كل من الرجل والمرأة(١). لذلك فإن بدايات ظهور نقـــد المـــرأة العربية قد كان في القرن السابع الميلادي، فقد روت لنـــا مصـــادر الأدب العربي القديمة نقدا لأم جندب الطائية زوج امرئ القيس التي عاشت في العصر الجاهلي، والشاعرة الخنساء تماضر بنت عمـــرو الشريدي التي عاشت في الجاهلية والإسلام، وليلى الأخيلية صـــاحبة توبة بن الحمير التي عاشت في العصر الأمـــوي، وعائشـــة بنـــت

(١) انظر: الكندي، امرئ القيس، ديوانه، ص٤٠، وابن قتيبة، عبـــد الله بـــن مسلم، الشعر والشعراء، ج١ ص٢١٨-٢٢١. والمرزباني، محمـــد بـــن عمـــران، الموشـــح، ص٣٠، ٣٣،٣٩، ٤١، ١٩٤، ١٩٦، ٢٠٠، ٢٠١. والأصبهاني، علي بن الحســـين، الأغـــاني، ج١ ص١٩٢، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢١٦، ٢٢٠، ج٢ص٣٧٧، ج٣ص٣٤١، ج٤ ص٢٦٠، ٢٦١، ج٧ص٦٢، ج١١ ص١٩١، ج٢١ ص٢٠٣، ٣٦٦، ٣٦٧. والقـــــارئ، جعفر أحمد السراج، مصارع العشاق، دار صادر، (د.ط) (د.ت) بيروت، ج٢ص٨٢، ١٣٠.

طلحة، وعقيلة بنت عقيل بن أبي طالب، والنوار زوج الشاعر الفرزدق، وسكينة بنت الحسين، وعزة صاحبة كثير الشاعر، وبثينة صاحبة جميل الشاعر، وغيرهن من الناقدات اللاتي عشن في الجاهلية والإسلام(١).

ويظهر من هذه البدايات المتقدمة لنقد المرأة العربية (القرن السابع الميلادي) أن مشاركات المرأة العربية في نقد الشعر قد كانت سابقة لمشاركات سواها من الناقدات في العالم كما تذهب لهذا الباحثة سعاد المانع، التي تؤكد أن المرأة الغربية لم تمارس الأدب قبل النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي(٢)، وهذا يؤكد أن المرأة العربية في العصور الأولى من عمر النقد العربي قد كان لها حضورها الجلي والواضح في مجال النقد أكثر منه في سائر فنون

(١) انظر: المراجع السابقة نفسها، الأفطسي، محمد بن هبة الله، المجموع اللفيف، تحقيق يحيى وهيب الجبوري، دار الغرب الإسلامي، (ط.١) (١٤٢٥هـ- ٢٠٠٥م) بيروت، ص١١٥، ١١٦، ٢٩٢، ٢٩٣. والقالي، إسماعيل بن القاسم، الأمالي (الذيل والنوادر والتنبيه لأبي عبيد البكري) (د.ط) (د.ت) دار الكتب العلمية، بيروت، ج٣ص١٩٧، ١٩٨. وطيفور، أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء، ١٩٠٨م، ص١٥٩، ١٦٠، ١٦٩، ١٧٠. وصغير، فاطمة، جهود المرأة العربية في النقد العربي القديم، ٢٠١٤م، مجلة المخبر، العدد (١٠)، ص٣٨٣، ٣٨٤.

(٢) المانع، سعاد، المرأة ونقد الشعر في بدايات النقد العربي، ص٦٦.

الأدب الأخرى من شعر ونثر، فحكومة أم جندب النقدية مشهورة في مدونات النقد العربي القديمة، ومثلها الخنساء في نقدها لبعض الشعراء الجاهليين والمخضرمين في سوق عكاظ في حكومة النابغة النقدية، وسيطرة سكينة بنت الحسين على عصرها في مجال النقد، وما روته كتب النقد ومجالسه من مشاركات نقدية للشاعرة ليلى الأخيلية، وغيرها في العصر الأموي(١).

كذلك فإن حضور المرأة العربية في مجال شعر الغزل الذي يحوي على علاقة الرجل بالمرأة قد جعل بعض الباحثين يذهب إلى أن المرأة بخطابها النقدي في القرن الأول الهجري قد شكلت أحكام النقد المتعلقة بالغزل، وأن تلك الأحكام النقدية إنما جاءت من أحكام

(١) انظر: الأصبهاني، علي بن الحسين، الأغاني، ج٢١، ص٢٠٠، ٢٠٣. وابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ج١ ص٢١٨، ٢٢٠، ٣٤٤. والمرزباني، محمد بن عمران، الموشح، ص ٣٩-٤١. وبنت الشاطئ، عائشة، عبد الرحمن، موسوعة آل النبي، ص٩٤٤. والمانع، سعاد، المرأة ونقد الشعر في بدايات النقد العربي، ص٧، ٦٦. وصغير، فاطمة، جهود المرأة العربية في النقد العربي القديم، ٢٠١٤م، مجلة المخبر، العدد (١٠)، ص٣٨٣، ٣٨٤. والمجالي، محمد أحمد، المرأة الناقدة في الأدب العربي، ١٤٣٩ه- ٢٠١٧م، ص١، ٨، وحمور، عرفان محمد، سوق عكاظ ومواسم الحج، مؤسسة الرحاب الحديثة، (ط١) (٢٠٠٠م) بيروت، ص١٨٥.

المرأة اتجاه شعر الغزل والعذري منه بخاصة، الذي كان يقوله الرجل في المرأة[١]، والناظر في نقد المرأة العربية يجد أنه متوجه في أكثره إلى شعر الرجل دون شعر المرأة على الرغم من وجود شاعرات قديرات حفل بهن تاريخ الشعر العربي القديم[٢]. من أمثال الجليلة بنت مرة البكرية، والخنساء السلمية، وليلى الأخيلية، وغيرهن من شواعر العرب في الجاهلية والإسلام.

والسؤال الذي يحضر هنا هو لماذا وجهت المرأة العربية أحكامها النقدية إلى شعر الرجل، وصرفته عن شعر المرأة؟ هل

---

(١) المانع، سعاد، المرأة ونقد الشعر في بدايات النقد العربي، ص٧، ٦٦. السيف، عمر، الرجل في شعر المرأة، دراسة تحليلية للشعر النسوي القديم وتمثلات الحضور الذكوري فيه، مؤسسة الانتشار العربي، (ط١) (٢٠٠٨م) بيروت، ص١٢٠.

(٢) المرزباني، محمد بن عمران، الموشح، ص٣٩-٤١، والأصبهاني، علي بن الحسين، الأغاني، ج٥ص١٦، ١٧، ج ٦ ص٣٩، ٤١، ج١١ص٢٤٣، ج٢١ ص٢٠٠، ٢٠٣. وطيفور، أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء، تعليق أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، ١٣٢٦، ١٩٥٨م، القاهرة، ص٦٩، ٧٠. وابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، ج١ص٣٤٣، ٤٤٨. والقارئ، جعفر بن أحمد السراج، مصارع العشاق، دار صادر (د.ط) (د.ت) بيروت، ج١ ص٣٢٢. وبنت الشاطئ، عائشة، عبد الرحمن، موسوعة آل النبي، ص٩٤٣، ٩٤٤

يعود إلى قلة شعر المرأة أم لضيق أبعاده المضمونية ومحدوديته لانحساره في فن الرثاء دون سواه من باقي الفنون الشعرية الأخرى التي توافرت في شعر الرجل؟[١] أو لضعف في شعر المرأة بحيث لا يوجد فيه ما يغري المرأة الناقدة بالتوجه إليه بأحكامها النقدية، وارتياده مثل ارتيادها لشعر الرجل؟ أم لأن نقد المرأة العربية لشعر الرجل صادر عن دوافع النوع والجنس تقصدت به المرأة ذكورية الرجل في شعره مما لا يتحقق لها في نقدها لشعر المرأة لكن الرواة أسقطوه وأهملوه؛ لأنه لم يكن فيه ما يغريهم بروايته، ومن ثم اتجهوا لرواية نقد المرأة لشعر الرجل لما فيه من أحكام نقدية لافتة لهم، وإثارة نقدية تجعلهم يهتمون به دون سواه من نقد الشعر النسائي[٢].

ولا أكاد أعدو الحقيقة أمام تلك التساؤلات إن قلت: إن تلك الأسباب كلها أو جلها كانت وراء هذا الاتجاه النقدي من المرأة العربية لشعر الرجل في أدبنا العربي القديم، وأن عواطف الأنثى

(١) انظر: صغير، فاطمة، جهود المرأة العربية في النقد العربي القديم، ٢٠١٤م، مجلة المخبر، العدد (١٠)، ص٣٨٣.

(٢) انظر: المانع، سعاد، المرأة ونقد الشعر في بدايات النقد العربي، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م، ص١٢، السيف، عمر، الرجل في شعر المرأة ، ص١٠، ١١١-١١٥، ٢٨٣.

اتجاه الذكر كانت وراء تقصدها لشعر الرجل دون شعر المرأة بأحكامها النقدية.

إن الناظر في نقد المرأة العربية لشعر الرجل في أدبنا العربي القديم يجد أن مكوناته ومنابعه المضمونية والفنية قد تأثرت بطبيعة العلاقة الحياتية بين المرأة والرجل ووسمته بسماتها، ومن ثم تجسد في عدد من الاتجاهات الفنية كان من أبرزها وأكثرها حضورا الاتجاه العاطفي القلبي، الذي يراعي أحاسيس المرأة وعواطفها ومشاعرها اتجاه الرجل، من حب وبغض، ومفارقة وألفة ونفور، واحتفاء بجمال، وأنوثة، وذوق، وظرف، وإعجاب، ونحوها من القيم والسلوكيات التي تنتج عن علاقة المرأة بالرجل.

الاتجاه النقدي العاطفي:

يعد هذا الاتجاه النقدي أكثر الاتجاهات النقدية حضوراً في نقد المرأة لشعر الرجل واستئثارا به، فهو يتناول علاقة الرجل العاطفية بالمرأة وعلاقتها به حبا، وعشقا، وغزلا، واستلطافا، وذوقا، وظرفا، وقربا، وفرقة، وألفة، ونفورا، وغيرها من مظاهر الإعجاب والجذب أو الكره والبغض، والميولات العاطفية المتمثلة في وصف المرأة للرجل خلقا وخلقا، وجمالا وقبحا، فلقد وجهت المرأة نقدها لشعر الرجل متناولة غزله فيها، ووصفه لها، وحبه وإعجابه بها،

واستشعاره لجمالها، ومدى إصابته في وصفه لها في شعره أو التعبير عن مشاعره اتجاهها.

وقد كان ذلك النقد النسائي لشعر الرجل يحكم بمقدار إصابته أو إخفاقه في إعطاء المرأة حقها في علاقتها به وعلاقته بها مما يمكن أن يرفع في نظرها من تلك العلاقة، وتقويها أو يحط منها ويضعفها.

عاطفة الرجل اتجاه المرأة ومقياس الفحولة:

إذا كان نقد المرأة بعامة قد دار حول الغزل فإن نقد المرأة لشعر الرجل قد استأثر في أكثره بمقدار إصابة الرجل أو إخفاقه في ذلك الغزل اتجاهها واتجاه ما يرضي أنوثتها واستشعارها للجمال، وما أبرزه ذلك الغزل من نصيب لها فيه ومقدار ما بث فيه من عاطفة له اتجاهها، لقد تحدثت المرأة صراحة كما يقول عمر السيف عما يعجبها في الشعر وما لا يعجبها، وكان نقدها يرقق الشعر ويلينه ويظهر الرجل باحثاً عن رضى المرأة وفيّاً لعلاقة الحب(١).

ولقد أرست المرأة في نقدها لشعر الرجل تقاليد نقدية تحولت لمقاييس وأحكام ارتضاها النقاد العرب لفن الغزل وباتت معايير يقاس بها فن الغزل على أسس تلك المقاييس التي أرستها المرأة وارتضتها لإجادة الشاعر في تغزله بها، وفرضتها على الخطاب النقدي العربي القديم، وأثرت في التنظيرات النقدية التي وضعها بعد

(١) السيف، عمر، الرجل في شعر المرأة ، ٢٠٠٨م، ص١٢١.

ذلك النقاد لفن الغزل[١]. ويرى البعض أن نقدها قد أسهم في ظهور تيار الغزل العذري[٢]. فالشاعر كثير عزة يربط مقياس فحولة الشاعر بما تتطلع له المرأة في غزله بها من أوصاف ومقاييس، فيجعل حسن تغزل الشاعر بالمرأة، وتشبيبه بها، وخضوعه وتصابيه وتوده بين يديها، وكسب رضاها عنه، أسسا لوصفه بالشاعر الفحل، ومن ثم فإن لم يحقق ذلك في غزله فليس هو بشاعر فحل، وهذه هي المقاييس التي ارتضتها المرأة، ويخرجه لسبب ذلك من فحولة الشعراء[٣]. فقد انتقد الشاعر كثير عزة الشاعر الأحوص في فحولته على قوله في محبوبته مخالفا ما ترتضيه المرأة في التغزل بها:

فإن تصِلي أصلك وإن تبيني بصرمك قبل وصلك لا أبالي
وإني للمودّة ذو حفاظ أواصل من يهشّ إلى وصالي
وأقطع حبل ذي ملق كذوب سريع في الخطوب إلى انتقال

فقال له: ويلك! أهكذا يقول الفحول؟ أما والله لو كنت من فحول الشعراء لما قلت لها هذا[٤]، وامتدح قول نصيب بما حقق من فحولة بسبب تذلُّله لزينب وتقربه إليها، وصبره على دلالها في قوله:

---

(١) المانع، سعاد، المرأة ونقد الشعر في بدايات النقد العربي، ص٦٢.
(٢) السيف، عمر، الرجل في شعر المرأة، ص١٢١.
(٣) المرزباني، محمد بن عمران، الموشح، ص١٩٧، ١٩٨.
(٤) انظر: السابق نفسه.

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب وقل إن تمّلينا فما ملك القلب
وقل إنّ قرب الدار يطلبه العدى قديما ونأي الدار يطلبه القرب
وقل إن أنل بالحب منك مودّة فما فوق ما لا قيت من حبكم حب
وقل في تجنّيها لك الذنب، إنما عتابك من عاتبت فيما له ذنب[1]

إن كثيرا بهذا الاتجاه النقدي إنما يعتمد مقاييس المرأة الناقدة لشعر الرجل، الذي لا يرضيها منه سوى ذلك الشعر الذي يظهر فيه الرجل خضوعه لحبها، وتذلُّله بين يديها؛ لإرضاء عاطفتها، وذوقها، وكبرياء جمالها، وكأن الفحولة لدى النقاد القدماء – ومنهم كثير عزة– قد باتت خاضعة لمقاييس المرأة في نقدها لشعر الرجل، الذي لا تراه شعرا جميلا ما لم يرضِ عاطفتها واستشعارها لسيطرتها عليه بما تبديه من مظاهر جمالها، وبما يجعله يتذلل لها، ويخضع لحبها، ويخطب ودها ورضاها عنه.

وهذا جعل الباحثة سعاد المانع تطرح تساؤلها عما إذا كان نقد المرأة العربية في أدبنا القديم الذي دار حول الغزل قد شكل أحكام النقاد القدماء المتعلقة بشعر الغزل من حيث الجودة والقبح، كما هو نقد كثير لكل من الأحوص ونصيب، وإن مقاييسهم في هذا الشأن قد جاء من أحكام النساء على غزل الرجال فيهن، حيث أرسين مقاييس

(١) انظر: السابق نفسه.

جودة الغزل في الرفع من شأن المرأة من قبل الشاعر، والتذلل لها، والتصابي بين يديها، والضعف أمام جمالها، واستعطافها في حبها[١].

ويرى الباحث عمر السيف أن نقد المرأة العربية للشعر تريد فيه من الشاعر أن يكون أكثر رقة لمحبوبته وأشد تعلقا بها، ويرى أن المرأة الناقدة قد وجهت الشعر بذوقها توجيها معينا ساهم في إرساء الفحولة الشعرية، التي كسبها الرجل، وخسرتها هي[٢]، لأنها لا تستطيع أن تتغزل فيه، لكن يستطيع هو أن يتغزل فيها، ويفوز هو بغزله فيها بمقاييس الفحولة التي شاركت هي في وضع مقاييسها.

(١) المانع، سعاد، المرأة ونقد الشعر في بدايات النقد العربي، ص٦٢، ٦٣.

(٢) السيف، عمر، الرجل في شعر المرأة، ص١١٤.

مقاييس الذوق بين المحبين

وتصدر الناقدة سكينة بنت الحسين عن عاطفتها، وقلبها، وذوقها في نقدها لجرير عندما تنكر عليه جلافته مع محبوبته التي زارته ليلاً فردها في موقف ترى سكينة أنه لا يعبر عن حبه لها وهيامه بها وخضوعه لحبها، وكانت تود منه لو أنه أحسن من استقبالها، وتذلل وخضع بين يديها، وأبدى سعادته بزيارتها له وتشوقه إلى لقائها وحرصه على إسعادها بإظهار حبه لها وفرحته بزيارتها، ولذلك قبحت سكينة سلوك جرير مع زائرته؛ لأنه ليس فيه إظهار لحبه لها، وتعلقه بها وخضوعه وتذلله لها وإظهار سعادته بزيارتها، فقالت مخاطبة صاحبه في قوله:

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا حين الزيارة فارجعي بسلام

قبّح الله صاحبك –تقصد جريرا– وقبّح شعره، وأي ساعة أحلى للزيارة من الطروق[1]، لقد طرحت سكينة حكمها النقدي المعبر عن ذوق المرأة ومقاييسها لساعات لقاء المحب بمحبوبته، وسكينة هنا تصدر في نقدها عن مقياس نقدي صادر عن عاطفتها وقلبها وذوقها ارتضته المرأة في علاقتها بالرجل.

(١) المرزباني، محمد بن عمران، الموشح، ص١٩٣، ١٩٤.

زيادة العاطفة ونقصانها بين المحبين

أما الناقدة عقيلة بنت عقيل بن أبي طالب فقد أنكرت على جميل بثينة أنه عبر في شعره الذي يتغزل به في محبوبته بثينة عن عدم حرصه على تطلابها والبحث عنها إلا إذا هي طلبته وبحثت عنه، وأن من مقاييس الغزل الحرص على طلب المحبوبة والبحث عنها، والسعي وراءها للظفر بها وبرؤيتها وبحبها لا أن تطلب المرأة الرجل، فقالت في قوله:

فلو تركت عقلي معي ما بكيتها ولكن طلابيها لما فات من عقلي

إنما تطلبها عند ذهاب عقلك(١)، ورضيت عنه وامتدحت غزله في محبوبته عندما أظهر ولهه عليها وتعلقه بها، وانكساره بين يديها عندما يلقاها في قوله(٢):

علقت الهوى منها وليدا فلم يزل إلى اليوم ينمى حبّها ويزيد
فلا أنا مرجوع بما جئت طالباً ولا حبّها فيما يبيد يبيد
يموت الهوى مني إذا ما لقيتها ويحيى إذا فارقتها فيعود

لقد حكت عقيلة بجمال هذه الأبيات لما فيها من تصوير لزيادة العاطفة عند لقاء المحب ونقصانها عند البعد عنه، وكأنها ترى أن القرب من المحب يزيد أوار العواطف وتأججها واشتعالها، وأن

(١) السابق، ص١٩٤، ١٩٦.

(٢) انظر: السابق نفسه.

جمال الشعر إنما يكون بمقدار ما يصوره من تلك العاطفة وقدرته على إظهار تلك العاطفة وقوتها.

كذلك وصفت الناقدة عقيلة كثير عزة بألأم العرب في غزله الذي يود فيه أن ينسى محبوبته لولا أنها هي من تتمثل له في كل مكان يذهب إليه في قوله:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل

فتسأله منكرة له هذه العلاقة بأنثاه التي لا تليق بها وبحبها في مقاييسها النقدية: ولمَ تريد أن تنسى ذكرها، أما تطلبها إلا إذا مثلت لك؟، إن هذا يخالف في تقديرها ذوق علاقة الحب بين المحبين وما ينبغي أن تكون عليه علاقة المحب بمن يحب من التودد والتلطف والبحث عنها للظفر بقربها، وتفضل عقيلة على هذه العلاقة علاقته الأخرى التي يظهر فيها حبه وعاطفته اتجاه محبوبته في شيء من الخضوع والحرص وإظهار مقدار التعلق بها في قوله[1]:

فيا حبّها زدني جوى كلّ ليلة ويا سلوة الأيام موعدك الحشر

عجبت لسعي الدهر بيني وبينها فلما انقضى ما بيننا سكن الدّهر

هذا يجعلنا نؤكد أن نقد المرأة العربية قد أرسى قوانين نقد الغزل في الخطاب النقدي العربي القديم، وأن الناقدة العربية في نقدها لشعر الرجل قد أرست قواعد قوله فيها وقوانين ذلك القول، والقيم الفنية

(١) انظر: السابق نفسه.

التي عليها أن يخرج شعر الرجل فيها، ولقد اتخذ نقاد الشعر من العلماء والشعراء أسسا نقدية ينطلقون فيها في أحكامهم على نقد شعر الرجل في المرأة وتغزله بها، كما رأيناه في نقد كثير عزة لكل من الأحوص ونصيب(١)، وإن هذا الخطاب النقدي قد كان قائما على أسس عاطفية قلبية تتدخل في طبيعة علاقة المرأة بالرجل والأنثى بالذكر.

وترحب عائشة بنت طلحة بغزل ابن أبي ربيعة فيها لما يحمل من عاطفة اتجاهها في شعره ترتضيها وتود أن تتصف بها في علاقتها بالرجل، حيث يقول:

قالتْ بدائك مُتْ أو عِشْ تُعَالِجُه فما نَرَى لكَ فيما عندنا فَرَجا
قد كنتَ حمَّلتَنا غيظاً نُعالِجُه فإن تُقِدْنا فقد عَنَّيْتَنا حِجَجَا

وقالت ناقدة له ومعبرة عن حبها لغزله العاطفي هذا: لا ورب هذه البنية –تعني الكعبة– ما عنيتنا طرفة عين قط(٢). إن عائشة بنت طلحة هنا تقبل اعتذار الشاعر بل ترى أنه ما كان له أن يعتذر، فالاعتذار إنما يكون عن إساءة وهو لم يسئ في تعبيره عن عاطفته اتجاه المرأة، وفسّرت شعره تفسيرا يخرجه من أي حرج قد يستشعره في حبه اتجاه الأنثى، فغزله هذا صادر – كما ترى الناقدة

(١) السابق، ص١٩٧، ١٩٨.

(٢) الأصبهاني، علي بن الحسين، الأغاني، ج١ ص٢٠٢.

عائشة بنت طلحة- عن عاطفة ترتضيها هي وكل أنثى، إنه نقد نابع من العاطفة التي تحكم علاقة المرأة بالرجل.

وكانت امرأة قد عرضت على كثير عزة خلتها ووصلها فرضي بها وقبل تلك الخلة وذلك الوصل، لكن بعد خلته ووصله لمحبوبته عزة فلامته على ذلك، ورأت أنه في حبه لمحبوبته الأولى عزة خللا وضعفا لا يليق بمحب لحبيبته، وفضلت عليه جميل بثينة لأنه جعل حبه لبثينة شاغلا له عن حب غيرها، وأن حبه لبثينة قد ملأ قلبه حتى لم يعد فيه قدر قلامة لغيرها، وكانت هذه المرأة الناقدة – فيما يرويه صاحب بلاغات النساء- قد قالت لكثير ما يدعوك إلى ما تقول في عزة وليست كما تصف، فلو صرفت رأيك إلى غيرها مما هو أولى بك منها أنا وأمثالي، فقال:

إذا ما أرادت خلة أن تزيلنا أبينا وقلنا الحاجبية أول

سنوليك عرفا إن أرادت وصالنا ونحن لتلك الحاجبية أوصل

فرفضت المرأة هذا النوع من الحب الذي يشرك مع محبوبته غيرها، لأنها صادرة في حكمها هذا عن عاطفتها كأنثى لا ترضى أن يشاركها أحد في حبها، فقالت له –وقد أدركت أن في قلبه متسعا لعزة وغيرها- فهلا قلت كما قال جميل مفضلة حب جميل على حب كثير؛ لأن جميلا آثر محبوبته بثينة بقلبه كله، ولم يبق في قلبه من سعة لغيرها، ولم يشرك فيه غيرها حيث يقول:

يـا رب عارضـة علينـا وصـلها بالجـد تخلطـه بقـول هـازل
فأجبتـها في القـول بعـد تسـتر حبي بثينة عن وصالك شاغلي
لـو كـان في قلـبي كقـدر قلامـة فضل وصلتك أو أتتك رسائلي

وقالت لكثير: هذا والله الحب لا صنيعك وتزويقك[1].

لقد فضلت المرأة الناقدة هنا حب جميل على حب كثير لأنه أكثر إخلاصا لمحبوبته، وأقوى تعلقا بها عن غيرها، وهذا هو المقيـاس العاطفي للحب الذي ترتضيه المرأة في علاقتها بالرجل.

عاطفة الحب بين الشجاعة والرقة

وكانت سكة (مولاة أمية بن عبد الله بن أسيد) جميلة ظريفة قـد مرت بثمامة العوفي فأعجبته فأرسل إليها يخطبها فسألت عن حرفته فبعث إليها بقوله:

وسـائلة عـن حـرفتي قلـت حـرفتي مقارعـة الأبطـال في كـل مـأزقِ
وضربي طلى الأبطال بالسيف معلماً إذا زحف الصفان تحت الخوافق
إذا القـوم نادونـي نـزال رأيتنـي أمام رعيل الخيل أحمي حقائقي
أصـبّر نفسـي حـين لا حـرّ صـابر على ألم البيض الرقاق البوارق

(١) طيفور، أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء، ص١٤٨، ١٤٩.

فقالت للرسول: قل له: فديتك أنت أسد فاطلب لنفسك لبؤة؛ فاني ظبية أحتاج إلى غزال[1]، أي أنها تحتاج إلى رجل عاطفة أكثر من حاجتها على رجل شجاعة، لقد نقدت سكة وصف ثمامة لنفسه بوصف لا يناسب الموقف الذي هو فيه حيث يطلب الزواج القائم على الألفة والود واللين والعاطفة، فلقد وصف نفسه بما يفيد الشدة والغلظة التي تبعده عن مطلب النساء في الإلف القائم على العاطفة واللين والحب والتذلل للأنثى والانكسار بين يديها، ولذلك رأت أن هذا ليس مما تبتغيه وتطلبه المرأة في علاقتها بالرجل لأن ما يناسب المرأة هو اللطف واللين، وهذا يوضح تأثر نقد المرأة لشعر الرجل وغزله فيها بصفاتها الأنثوية التي تميل لكل ما هو لطيف ومؤثر في العواطف والمشاعر وهو مطلب الأنثى في الرجل وما تشتهيه فيه، لذلك جاء نقدها لشعر ثمامة الذي يصف فيه نفسه لها نقدا عاطفيا ينشد اللطف والمودة والألفة واللين والرقة لا الشدة والقساوة ولو كانت شجاعة وبطولة.

العاطفة مقياس للحب

وكانت الناقدة سكينة بنت الحسين من أبرز الناقدات التي صدرت في أحكامها النقدية عن عاطفتها وذوقها القائم على أحاسيسها

(١) السابق، ص١٤٢-١٤٣.

ومشاعرها اتجاه الرجل وكيف عليه أن يتغزل في المرأة ويكسب ودها ورضاها(١).

فقد نقدت سكينة بنت الحسين جميلا نقداً يدل على ضعف هواه بسبب ضعف عاطفته اتجاه صاحبته بثينة حين كان حريصا على عودة عقله إليه من عودتها هي إليه في قوله:

فلو تركت عقلي معي ما بكيتها ولكن طلابيها لما فات من عقلي

فقبحت شعره لما رأت من ضعف هواه لمحبوبته فقالت لغلامه: ما أرى لصاحبك هوى، إنما يطلب عقله، قبح الله صاحبك وقبح شعره(٢).

إن ضعف عاطفة الشاعر اتجاه محبوبته – التي لاحظته الناقدة سكينة– جعلته ينشغل عن حبه لها بسواها في الوقت الذي كان الأولى أن ينشغل بها وينسى كل من سواها، ولذلك رأت سكينة في شعره عاطفة ضعيفة اتجاه محبوبته وجعلت العاطفة مقياسا للحب، ومن ثم فالعاطفة هي منطلق الحكم النقدي لدى سكينة اتجاه شعر جميل قوة وضعفا، فحكمت بقبح شعره، كما يوضح حرص الناقدة سكينة على ثبوت الشوق والحب بين المحبوبين أشد ما يكون الحرص، وأن لا ينشغل المحب بشيء مهما كانت أهميته عن حبه

(١) السيف، عمر، الجل في شعر المرأة، ص١١٦.

(٢) المرزباني، محمد بن عمران، الموشح، ص١٩٤.

وعشقه، إن العاطفة والألفة حاضرة في هذا النقد لدى الناقدة، ومهمة أشد ما يكون الاهتمام، لأن المهم لديها هو ما يربط الأنثى بالذكر من عواطف وألفة وصبابة، لكن الناظر في هذا الحكم النقدي وفي انشغال الشاعر بعقله عن محبوبته قد يجد للشاعر وجها في عظيم حبه وعشقه لمحبوبته، مما يذهب غبش هذا الحكم النقدي الجائر عليه، فإن سبب ذهاب عقله – في تقديري – مرتبط بحبه لبثينة، وهذا يصور عظيم حبه لها لأنه فقد أعظم شيء عنده وهو العقل بسبب أعظم حب لديه وهو حب بثينة، ومن ثم فجعله ذهاب عقله معادلاً لعظيم حبه وسببا له من أجل أن يصور عظيم حبه لمحبوبته الذي أوصله إلى حالة أن لم يعد له قيمة بدونه، وأن حبه واستقامته وصلاحه هو الذي سوف يعيد له عقله وحياته، فطلابه لعقله وحرصه عليه إنما كان من أجل حبه، وهذا يعبر لنا بالتأكيد عن مقدار حبه العظيم الذي أفقده هذا العقل الذي يسعى لاستعادته لينعم في ظله بحب صاحبته وعشقه لها.

ونقدت سكينة الشاعر نصيبا بما يدل على ضعف حبه لمحبوبته دعد، وعدم ظنه بها لنفسه دون سواه بما يوحي بضعف عاطفة تعلقه بها وحرصه عليها أن تبقى في دائرة عشقه وحبه بعد وفاته، فلامته على تصوره أن يعشق محبوبته دعدا عاشق بعده، ورأت في هذا ضعف عاطفةٍ من الحب اتجاه محبوبته، وأن حبه ليس حب تملكٍ

وظنٍ بالمحبوبة عن سواه، وأن ذلك ينم عن عاطفة ضعيفة تقبل أن تنتقل محبوبته في عالم الهوى والعشق لغيره من الرجال، ومن ثم لم تقبل سكينة قوله:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فوا حزني من ذا يهيم بها بعدي

فقالت ناقدة له على هذه المقالة الضعيفة التي ترتضى بانتقال المحبوبة لغيره: كأنه يتمنى لها عشيقا بعده، قبحه الله وقبح شعره هذا، وتمنت لو قال[1]:

فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي

حيث يثبت أن لديه من الحب والعشق والعاطفة لمحبوبته ما يجعله يظن بها لعاشق بعده، إن سكينة هنا تصدر في حكمها عن عاطفة الأنثى التي تحب تملك الحبيب، والمرأة التي تحب تملك الرجل المحب لها، والظن بها عما سواها من النساء.

فالمحب – في عالم النساء– يجب عليه أن يظن بمحبوبه ولا يفرط فيه لغيره ولو بعد وفاته ومغادرته الحياة، وهذا ما يؤكد – في عالم الأنثى – صدق حبه وعاطفته اتجاه من يحب.

إن نقد سكينة لكل من جميل ونصيب بأنهما في شعرهما لم يكونا شديدي الحرص على من يحبان ولا مستبدين في حبهما بالمحبوب يدل على ضعف عاطفتهما في خطاب سكينة النقدي، وعلى هذا بنَت

(١) انظر: السابق نفسه.

سكينة حكمها النقدي؛ لأن هذا ليس ما تنشده المرأة في شعر الرجل اتجاهها بل تنشد حبا قويا نابعا من عاطفة قوية اتجاه من يحب، وتعبر عن صدق وحرص على امتلاك المحبوب والظن به على من سواه من المحبين.

ويتغير الحكم عند المرأة بتغير العاطفة النابع منها، يتضح ذلك في مدح سكينة كثير عزة عندما أدركت في شعر له أنه أصاب طبيعة المرأة في علاقتها العاطفية بالرجل، وهي طبيعة تتظاهر فيها بالإباء والتمنع وهي راغبة حتى تجعل الرجل أكثر تعلقا بها، وأشد حبا لها، لذلك امتدحت قوله(١):

وأعجبني يا عَزُّ منك خلائق كرام إذا عُدَّ الخلائق أربعُ

دنوُّك حتى يطمع الطالبُ الصِّبا ودفعك أسباب الهوى حين يطمعُ

وعندما أخفق كثير في وصف محبوبته فضلت عليه وصف امرئ القيس لجمال محبوبته لأنه استطاع أن يعبر عن قوة عاطفته اتجاهها بإصابته وصف جمالها الآتي من تضوع جسدها بالرائحة الزكية تضوعا طبيعيا وليس بمؤثرات استخدام البخور والند وغيرها من الروائح الزكية، ورأت أن عاطفة كثير لم تكن من القوة اتجاه

(١) الخزاعي، كثير بن عبد الرحمن، ديوانه، جمع وشرح إحسان عباس، دار الثقافة، ١٣٩١ه-١٩٧١م، بيروت، ص٤٠٥.

أنثاه تساوي عاطفة مرئ القيس اتجاه أنثاه، فلم يعجب سكينة قول كثير في وصف جمال رائحة محبوبته(١):

فما روضةٌ بالحَزن طيّبةَ الثّرى يُمجُّ النَّدى جثجاثُها وعرارُها

بأطيبَ من أردانِ عزَّةَ مَوْهناً وقد أشعلتْ بالمندلِ الرَّطبِ نارُها

وفضلت عليه قول امرئ القيس الكندي(٢):

ألم تريـاني كلما جئـت طارقـاً وجدت بها طيباً وإن لم تطيب

فقد فضلت سكينة في حكمها قوة عاطفة امرئ القيس اتجاه محبوبته التي كانت وراء جمال وصفه لرائحتها الزكية، وحكمت على عاطفة كُثير بالضعف لأنها قصرت عن وصف جمال رائحة محبوبته بغير مؤثرات خارجية، وهذا نقد كما تقول فاطمة صغير: " صادر عن ذوق مرهف وحس دقيق بالجمال"(٣)، تحمله سكينة كامرأة تحكم عاطفتها وذوقها وهو في الوقت نفسه نقد لعاطفة الرجل/ الشاعر، رأت من خلاله سكينة أن عاطفة كثير لم ترق إلى الحس الجمالي الذي كان ينبغي أن يصور من خلاله جمال أنثاه كما هو حال امرئ القيس الذي ارتقت عاطفته – في حكم سكينة النقدي–

(١) السابق، ص٤٢٩-٤٣٠.

(٢) الكندي، امرؤ القيس بن حجر، ديوانه، ص٤١.

(٣) صغير، فاطمة، جهود المرأة العربية في النقد العربي القديم، ٢٠١٤م، مجلة المخبر، العدد (١٠)، ص٣٨٩، ٣٩٠.

اتجاه أنثاه حتى استطاع حسه الجمالي تصوير جمال محبوبته تصويرا أشبع عاطفة سكينة النقدية وأرضاها، وهذا يوضح اتجاها مهما من اتجاهات نقد المرأة للشعر يتبين منه أثر عاطفة الناقدة / الأنثى بوصفها مصدرا لتصوير الجمال ووصفه والحكم عليه مما يجعل له أثرا في نقد المرأة لشعر الرجل.

وقدمت سكينة جريرا على الفرزدق في غزله، وفي طريقة ذكره للمرأة المحبوبة لقوله قصيدته التي يرثي بها زوجته(١):

لولا الحياء لهاجني استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار

لأنها رأت عاطفة جرير أشد قوة اتجاه الأنثى من الفرزدق "فهي تريد من الشاعر أن يكون أكثر رقة لمحبوبته وأشد تعلقا بها"(٢)، وأشفقت سكينة على المرأة وتعاطفت معها بما يدعو الشعراء إلى مراعاة العاطفة في قولهم عند وصف علاقتهم بها، وأن تكون العاطفة هي مقياس التعامل مع الأنثى حبا وجسدا وعلاقة، وأنكرت على الشاعر العرجي وصفه الطائفات بالكعبة بالمجهدات اللاتي

(١) الخطفي، جرير بن عطية، ديوانه، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، بيروت، ص١٥٤.

(٢) صغير، فاطمة، جهود المرأة العربية في النقد العربي القديم، ٢٠١٤م، مجلة المخبر، العدد (١٠)، ص٣٩٠.

أتعبهن وأرهقهن الطواف سبعة أشواط حول البيت في قوله يصف ما يصيبهن من جهد بسبب امتلاء أجسامهن الفاتنة(١):

يقعدن في الطواف آونة ويطفن أحياناً على فتر
ثم أستلمن الركن في أنف من ليلهن يطأن في أزر
فنزعن عن سبع وقد جهدت أحشاؤهن موائل الخمر

فقد تعجبت سكينة من وصفه هذا وهو يعرف أن المرأة ضعيفة من ناحية البنية والجسم على القيام بالأعمال التي تتطلب شدة وصلابة وجهدا كبيرا، وقالت منتقدة له في هذا القول: "ويحك لو طاف الفيل بهذا البيت لجهدت أحشاؤه"(٢)، فقد رأت – في نقدها الذي يصدر عن عاطفتها اتجاه الأنثى– أن ذلك الإجهاد الذي وصفه الشاعر العرجي أنه أصاب أجسامهن شأن طبيعي مع المرأة الموصوفة بالضعف والرقة واللين، وإن لم تتصف بمثل هذا الوصف من الإجهاد لم تكن تلك الأنثى المطلوبة من الرجل والمرغوبة، إنه ضعف يحبب الرجال فيهن، ولذلك انتقدت سكينة الشاعر العرجي في قوله هذا لأنه لم يدرك أن هذا الجهد الذي وصف به النسوة الطائفات

(١) العرجي، عبد الله، ديوانه، جمع وتحقيق سجيع جميل الجبيلي، دار صادر، (ط٣) (٢٠١٢م) بيروت، ص٣٩٠.
(٢) طيفور، أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء، ص١٦٤.

هو من شأنهن كأنثاوات تجهدهن أدنى المتاعب والمشاق، وهذا نقد نابع من إدراك الناقدة سكينة لخصائص الأنوثة، وهو كذلك نابع من عاطفتها كأنثى مدركة لما ينبغي أن تكون عليه المرأة المرغوبة من اللين والضعف الذي يقوي من سيطرة أنوثتها على الرجل، ومن ثم مدركة للإصابة في وصفهن شعرا.

وقد وصفت بنت الشاطئ سكينة بأنها كانت مهتمة بما قيل في الحب، وعللت ميلها لنقد شعر الحب (الغزل) دون سواه من فنون الشعر الأخرى، لما ترى في شعر الحب من نبض القلب وحس الوجدان (البعد العاطفي) وتعده المقياس الدقيق لامتحان أصالة الشاعر وصدق المعاناة(١).

وإذا كانت بنت الشاطئ قد وصفت سكينة الناقدة بأنها كانت تتقصد بنقدها شعر الحب دون سواه من فنون الشعر الأخرى، لما في شعر الحب من حضور قوي للعاطفة والوجدان ونبض القلب، فإن هذا الاتجاه العاطفي في النقد هو وجهة النساء العربيات الناقدات بعامة ممن تصدين لنقد الشعراء الرجال.

أثر العاطفة الحسي على رؤية المرأة النقدية

وقد كان هذا الاتجاه النقدي العاطفي هو النقد الطاغي على نقدهن، فهذه الناقدة عائشة بنت طلحة تدفعها عاطفتها لاتخاذ موقف

(١) بنت الشاطئ، عائشة، موسوعة آل النبي، ص٩٥٥.

نقدي حسي عملي تجلى في نتفها لريش غراب كان بين يديها لتمنعه من الطيران حنواً منها على لبنى صاحبة قيس بن ذريح من شؤمه الذي وصفه قيس في قوله(١):

ألا يا غراب البين قد طرت بالذي أحاذر من لبنى فهل أنت واقع؟

فنتفت عائشة بنت طلحة ريش غراب، وضربته بقضيب، وقالت له: يا مشؤوم(٢) وما ذلك إلا تعبير منها عن تأثرها بقول قيس وحضور عاطفتها الحانية على لبنى المشاركة لها والمتعاطفة معها بعد سماعها قول قيس في الغراب، وموقفها النقدي فيه.

وكان للنقد القائم على العاطفة أثره في استحضار فتاة عُقيلية لقول ذي الرمة في صاحبته مي(٣):

فإن لم يكن إلا تعلل ساعة قليل فإني نافع لي قليلها

فقد استحسنت الفتاة العقيلية هذا القول الشعري لذي الرمة فيما رواه أبو محمد القارئ في كتابه مصارع العشاق عن عياش السعدي عن أبيه أنه قال: سرت في بلاد بني عقيل أطلب ضالة فرأيت فتاة

---

(١) القارئ، جعفر بن أحمد السراج، مصارع العشاق، ج٢ ص١٦٤.

(٢) انظر: السابق نفسه.

(٣) انظر: السابق، ج١ ص١٣١، والأصبهاني، علي بن الحسين، الأغاني، ج١٨ ص٤١.

تتدافع في مشيتها كتدافع الفرس السابق المختال، فاستوقفتها وجعلت أنظر في مفاتنها فصاحت عجوز: ما يوقفك على هذا الغزال النجدي؟! فو الله ما تنال منه طائلا، فقالت الفتاة: دعيه يا أماه يكن كما قال ذو الرمة وذكرت البيت السابق، وهذا يدل على أنها واجهت بيت ذي الرمة برؤية نقدية قائمة على ذوق الأنثى وعاطفتها اتجاه الذكر المعجب بجمالها في موقف نقدي حسي وقولي، وأن من حق المحب أن يتيح لعواطفه ويخلي لها أن تنال ما تستطيع مما يرضيها من جمال الحبيب، ومن الجمال بعامة، وإذا كانت هذه الفتاة العقيلية الناقدة لشعر ذي الرمة من خلال اختيارها لبيته واستشهادها به قد قدرت ميولات الناظر إلى ملامح جمالها (مفاتنها) المعجب بها، فما ذلك إلا لما حكمت به من جمال في قول ذي الرمة فيما نال من محبوبته من كثير التعلل أو قليله، وما يعقب ذلك من شعور بالراحة والسعادة في حضرة الجمال والحب والعواطف المرهفة عند التقاء المحبين وتعللهم ومحادثتهم.

ولاحظت عاطفة عقيلة بنت عقيل بن أبي طالب النقدية قلة وفاء الشاعر العرجي في شعره اتجاه محبوبته من خلالا سرعته في مبادرته في مفارقتها حسيا عندما أتيح له الافتراق؛ فوصفته بأنه قد كان أقل العرب وفاء في قوله يصف لقاء له مع محبوبته؛ لم يحسن

في نهايته التعبير عن عواطفه اتجاه لقاء حسي بينهما لحظات الافتراق حين قال(١):

من عاشقين تراسلا فتواعدا ليلاً إذا نجم الثريا حلّقا

بعثا أمامهما مخافة رقبة عبداً ففرّق عنهما ما أشفقا

باتا بأنعم عيشة وألذّها حتى إذا وضح الصباح تفرّقا

فقد رأت عقيلة في سرعة فراق الشاعر لمحبوبته مع بزوغ نور الصباح قلة وفاء منه لها وعدم حرص منه على البقاء بجوارها، وفي هذا ضعف في عاطفة حبه كما لاحظت الناقدة عقيلة في الوقت الذي كان عليه أن يكون أشد حرصا على البقاء أطول وقت يمكنه البقاء مع محبوبته، وفضلت الناقدة عقيلة أنه لو استخدم الشاعر لفظة "تعانقا" مكان "تفرقا" لما في "تعانقا" من إظهار حرارة العاطفة المعبر عنها بالحرص على البقاء بجوار محبوبته، وإظهارا لقوة العاطفة التي تربط الشاعر بمحبوبته وتجعلهما أشد حرصا على البقاء وعدم الرغبة في حيلولة لحظات التفرق.

(١) المرزباني، محمد بن عمران، الموشح، ص١٩٥.

وإذا كانت ضعف العاطفة التي كانت وراء قلة الوفاء للحبيب هي سبب نقد عقيلة للأحوص فيما سبق من أبيات فإن قوة العاطفة كانت هي سبب مدحها لقوله في محبوبته(١):

كم من دنيٍّ لها قد صرت أتبعه ولو صحا القلب عنها صار لي تبعا

لقد غطت عاطفة حبه –في تقدير عقيلة– على قراراته التي يتخذها والتي تجعله يتبع كل دنيّ من أهل محبوبته، بدلا من أن يكون متبوعا يصبح تابعا لمن لا يستحق منه أن يتبعه، إنها عاطفة الحب التي تجعله يقبل كل ما فيه إرضاء الحبيب، وهي التي جعلت الناقدة عقيلة تحكم له بالجودة وتأذن له بالدخول عليها فيما رواه المرزباني(٢)، وهذا يؤكد أن المرأة العربية قد أرست قواعد فن القول في الغزل ومقاييسه النقدية، وجعلت من مقاييس الفحولة فيه أن يظهر الشاعر في شعره تذللا وانكسارا بين يدي الحبيبة حتى يرضيها عنه ويجعلها أكثر ألفة له.

ولأن كُثير عزة أخفق في التعبير عن شدة عاطفته اتجاه افتراق محبوبته عنه جسديا وأنكرت عقيلة عليه، وانتقدت استسهاله آلام

(١) انظر: السابق نفسه.

(٢) انظر: السابق نفسه.

شعوره بفراق المحبوبة عنه وتهوينه لذلك بإنكاره على نفسه الحزن للفراق حين يقول(١):

أإن زمّ أجمـــال وفـــارق جـــيرة وصاح غراب البين أنت حزين؟

وقالت ناقدة له ومنكرة عليه تهوينه من عاطفة الفراق الجســـدي لديه: أين الحزن إلا عند هذا، وأمرت جواريها في شكل من أشـــكال الموقف النقدي قائلة لهن: خرقن ثوبه يا جواري(٢)، ولم تغفر له إلا عندما رفع من قوة عاطفته للفراق الحسي بينه وبين محبوبتـــه فـــي أبيات له ذكر هو أنها أحسن عاطفة من قوله السابق حين يقول:

أأزمعـت بينـاً عـاجلاً وتـركتني كئيبـاً سـقيماً جالسـا أتلـدّد

وبـين التراقـي واللـهاة حـرارة مكان الشّجا ما تطمئن فتبرد

فرضيت عنه عقيلة رضا نقديا، وقالت لجواريها: خلّين عنه يـا جواري، بل إنها كافأته على تجويده هذا بمئة دينار وحلة يمانية(٣).

هذا يدل على أن كُثيرا قد أدرك مقياس عقيلة النقدي في شـــعر الرجل اتجاه المرأة، وذلك بأن يكون شعر الرجل في المرأة يرقـــى إلى درجة العلاقة التي ينبغي أن تكون بينهما القائمة علـــى صـــدق الحب ولهيب العواطف وشدة الميل إليها؛ ولذلك ما لبث أن عـــرض

(١) السابق، ص١٩٥، ١٩٦.

(٢) انظر: السابق، ص١٩٦.

(٣) انظر: السابق نفسه.

عليها قولا شعريا له يحقق لها ما ترتضيه المرأة من مقياس عاطفي جمالي في شعر الرجل اتجاه المرأة.

العاطفة تعلي الغزل على فنون الشعر

ونقدت النوار زوجها الشاعر الفرزدق بما يفيد أن شعر الغزل هو أحلى أنواع الشعر الذي يمكن أن يقوله الشاعر، وفضلت غزل جرير على غزله لأنه مفعم بالعاطفة القوية المتدفقة أكثر مما هو في غزل زوجها الفرزدق حين قالت له وقد سمعته يعيب شعر جرير: هو والله أشعر منك، قال وكيف علمت ذلك؟ قالت غلبك على حلوه (تقصد الغزل) وشركك في مره (تقصد الهجاء)(١). فالناقدة النوار تفضل غزل جرير لعاطفته ورقته على غزل الفرزدق لفحشه وتعهره، فهي حكمت العاطفة والذوق لأن شعر الغزل عند النوار حلو جميل لما فيه من عاطفة وذوق وأحاسيس ومشاعر لطيفة.

نقد تفاوت العاطفة في شعر الشاعر

نقدت المرأة تفاوت العاطفة في شعر الشاعر اتجاهها باحثة عن أقواها وأشدها ولها اتجاهها، ولم تقبل المرأة الناقدة لشعر الرجل اشتمال شعره في المرأة على مجرد عاطفة يعبر عنها اتجاهها بل تمنعت في الحكم له بجودة شعره حتى يحقق لها في شعره من

(١) السابق، ص١٣٦.

العاطفة أشدها وأقواها تعبيرا عن الوله والهفة والتعلق، فلم تقبل عزة من كثير تلك العاطفة التي يشعر بها ناحيتها التي تشبه عاطفة من وجد ناقته بعد أن ضلت منه أو من وجد الماء بعد عطش، ورأت بأن تلك العاطفة ضعيفة فقد يغنيه عنها سواها، لكنها قبلت منه عاطفة أخرى ترى أنها أقوى في التعبير عن عاطفة الأم الفاقدة لولدها الآيسة من عودته، فردت عليه قوله يصف عاطفته اتجاهها:

وجدت بها وجد المضلّ قلوصه بمكة والرّكبان غاد ورائح

بقولها: لم تصنع شيئا، قد يجد هذا ناقة ويركبها، كما ردّت عليه قوله:

وجدت بها ما لم يجد ذو حرارة يمارس جمّات الركيّ النوازح

وقالت له: لم تصنع شيئا يجد هذا من يسقيه، ثم قبلت منه العاطفة التي وشى بها في قوله:

وجدت بها ما لم تجد أمّ واحد بواحدها تطوي عليه الصفائح

فضحكت ثم قالت: إن كان ولابد فهذا[1]. إن عزة في حكمها النقدي هذا كانت تبحث في غزل كثير فيها عن العاطفة في أقوى درجاتها التي وجدتها في شعره الذي يصف فيه عاطفة الأم الفاقدة لوحيدها، كما أن عبارة عزة النقدية "إن كان ولا بد فهذا" توحي بأنها كانت تود منه عاطفة أقوى من عاطفة الأم الفاقدة لوحيدها.

---

(١) السابق، ص١٨٢-١٨٦.

كذلك نقدت عزة نقدا عاطفيا سذاجة كثير في التعبير عن حبه لها التي أضعفت عاطفته المحبة لها وشوهتها وأفسدتها في قوله:

وددت وبيـــت الله أنـــك بكـــرة هجـان وأنـي مصـعب ثـم نهـرب
كلانـا بـه عـر فمـن يرنـا يقـل على حسنها جرباء تعدي وأجرب
نكـون لـذي مـال كـثير مغفـل فـلا هـو يرعانـا ولا نحـن نُطلـب
إذا مـا وردنـا منـهلاً صـاح أهلـه علينـا فمـا ننفـك نـؤذى ونضـرب

فقالت له: ويحك لقد أردت بي الشقاء، فما وجدت أمنية أوطأ من هذه؟[1]، وفي رواية: "أردت بي الشقاء الطويل ومن المنية مـا هـو أوطأ من هذه الحال"[2].

وفضلت عزة غزل الأحوص على غزل كثيـر لنقـاء عاطفتـه ووصفته أنه ألين جانبا عند الغواني من كثير وأضرع خداً للنساء في قوله:

يـا أَيُهـا اللاَّئمـي فيهـا لأَصْـرِمَها أَكْثرتَ لو كان يُغْنِي منك إِكْثارُ
اِرْجِعْ فلستَ مُطاعاً إذ وَشَيْتَ بها لا القَلْبُ سالٍ ولا في حُبِّها عارُ

(١) القيرواني، إبراهيم بن علي الحصري، زهر الآداب وثمر الألبـاب، ج١ ص٤١٥-٤١٧.

(٢) المرزباني، محمد بن عمران، الموشح، ص١٨٩.

وفي قوله:

وما كُنت زوّاراً ولكنّ ذاَ الهوى إذا لم يَزُرْ لا بُدَّ أنْ سَيزُورُ

لقد منعت معروفها أم جعفر وإني إلى معروفها لفقير

واستقبحت عزة من قول كثير هذا الجلال وتلك الهيبة وذلك الوقار المذهب للعاطفة والألفة التي تبحث عنها المرأة لدى من تواده وتحبه الذي وصف به مجالسته المحبات العاشقات في قوله:

وكنت إذا ما جئت أجللن مجلسي وأظهرن منّي هيبة لا تجهّما

يحاذرن منّي غيرة قد عرفنها قديماً فلا يضحكن إلّا تبسّما

تراهنّ إلّا أن يخالسن نظرة بمؤخر عين أو يقلّبن معصما

كواظم لا ينطقن إلّا محورة رجعية قول بعد أن يتفهّما

وكنّ إذا ما قلن شيئًا يسرّه أسرّ الرّضا في نفسه وتحرّما

لقد أنكرت عليه عزة هذه الشدة منه اتجاه الغواني وهذا الوقار المتكلف في الحديث معهن وإليهن وهذه الهيبة في علاقاته بهن التي لا تناسب اللين والتضرع والتذلل من المحب للحبيب، لقد رأت عزة في عاطفة الأحوص مع الغواني ما يجعلهن يقبلن على مثله، ويغنيهن عن القرب من مثل كثير، ولذلك "لم تأذن لكثير بالجلوس إليها ولا محادثتها فخرج من عندها خجلاً"(١).

(١) القيرواني، إبراهيم بن علي الحصري، ج٢ ص٤٠٥-٤٠٦.

وهكذا نجد أن العاطفة والتعبير عنها تمثل اتجاها نقديا قويا من اتجاهات نقد المرأة لشعر الرجل بل هو الاتجاه الذي كاد يستولي على نقد المرأة الذي استأثر جله بغزل الرجل فيها، وهذا يتناسب وطبيعة المرأة البيولوجية والنفسية المنقادة نحو عواطفها وأحاسيسها ومشاعرها، ومن هنا يتضح لنا اتجاه المرأة العاطفي في نقدها لشعر الرجل. ومما ينبغي الإشارة إليه في هذا الاتجاه النقدي النسائي في خطابنا النقدي العربي القديم أنه قام في جله وأغلبه على الموازنة بين الشعراء من قبل الناقدة، وذلك يعود إلى أن نقد المرأة متأثر في أكثره بعاطفتها، فهي في نقدها لقول الرجل فيها ظلت تتبع وتتطلع للمزيد مما يرضي عاطفتها من شعر الرجل فيها؛ ولذلك أقامت نقدها على أساس من الموازنة بين قول الشعراء في هذا المنحى النقدي الذي يعد اتجاها مهما من اتجاهات خطابنا النقدي العربي القديم، كذلك وازنت بين أشعار الشاعر الواحد وما تحمل من عواطف اتجاهها؛ لتقوّي آراءها النقدية هذه وتجعل من الموازنة كالدليل على إحكام مقولاتها النقدية القائمة أساسا والناهضة على مكوناتها العاطفية.

الخـــاتمـــة

إذا كانت الأسئلة التي أثارت الباحث ووجهته إلى هــذا الاتجــاه النقدي من البحث في النقد العربي القديم قد دارت حول نقد المــرأة العربية لشعر الرجل فإن نتائج هذا البحــث قــد جــاءت موضــحة ومبرزة لسمات هذا الاتجاه النقدي وخصائصه الفنية والموضــوعية، ومجلية لمشكلة البحث، ومقاربة لفرضيته العلميــة، ومجيبــة علــى أغلب تلك التساؤلات التي طرحا البحث، فقد تبين من الدراسة أن الاتجاه العاطفي قد كان هو الاتجاه النقدي الأبرز حضورا في نقــد المرأة الذي تناول جل خطابها النقدي؛ لأنها جعلت من شعر الرجــل شغلها الشاغل نقديا، فهي لم تلتفت في نقدها لشعر المرأة بل إن شعر الرجل فيها (غزله) كان قد استوعب ذلك الخطاب النقــدي النســائي وعبر عنه تعبيرا يوضح غايات المرأة الناقدة وأهدافها من تصــويب مقولاتها النقدية في شعر الرجل، وهي تحســين وتجويــد علاقتهــا بقسيمها في الحياة وهو الرجل والوصول بتلك العلاقة الحياتية نحــو السعادة، وقد توافر البحث على عدد من النتائج منها:

[١] أن الخطاب النقدي النسائي قد كان له حضوره في الخطاب النقدي العربي القديم منذ أوّلياته في العصر الجاهلي، وكان قد وُلــد مع ولادة نقد الرجل نفسه للشعر كما هي حكومة أم جندب النقديــة، وغيرها من الناقدات الجاهليات، وهذا صحح ما ذهب إليه الــبعض

من أن عمر النقد النسائي العربي قصير جدا لا يتجاوز عمره بضع سنوات من القرن الخامس عشر الهجري/ القرن الحادي والعشرين الميلادي(١).

[٢] أن أغلب النقد النسائي في الخطاب النقدي العربي القديم كان موجها لشعر الرجل الذي كانت هي موضوعه (شعر الغزل) ويتناولها فيه بخاصة على سبيل التغزل بها وذكرها في علاقته بها.

[٣] أن الاتجاه العاطفي القلبي هو الاتجاه النقدي الذي سيطر على نقد المرأة لشعر الرجل وحظي بجله؛ لما للعاطفة من أثر بالغ في حياة المرأة، وفي أحوال علاقتها بالرجل.

[٤] أن الاتجاه النقدي العاطفي الذي استغرق أكثر نقد المرأة لشعر الرجل كان يتقصد توجيه شعر الرجل الخاص بالمرأة، ما يجعله يحافظ على علاقته بها ومكانتها لديه وفي عالمه العاطفي حبا وكرها واحتراما وتقديرا ولطفا ولينا وقليا وجفاء وذوقا ومعاملة وقبولا ونفورا، وغير ذلك من القيم العاطفية التي تحكم علاقة الذكر بالأنثى وتسودها في الحياة، لتصل بتلك الحياة نحو السعادة في الحياة.

---

(١) المجالي، محمد أحمد، المرأة الناقدة في الأدب العرب مجلة أم القرى، مج (٥) ع (٢٠)، محرم ١٤٣٩ه –أكتوبر– ٢٠١٧م، ص ٥، ٨.

[٥] أن شعر الغزل هو الفن الشعري الذي انصب عليه نقد المرأة دون سواه من الفنون الشعرية الأخرى، وهو أبرز الأغراض الشعرية التي تناولت فيه المرأة بالنقد شعر الرجل؛ لما له من ارتباط بالعاطفة والقلب، ولما له من تجسيد لعلاقة الرجل الخاصة بالمرأة والذكر بالأنثى.

[٦] أن الاتجاه النقدي العاطفي الذي تناولت المرأة من خلاله شعر الرجل وحكم خطابها النقدي اتجاهه قام في أغلبه على الموازنات بين الشعراء في قولهم الشعري الذي تغزلوا فيه بالمرأة؛ لتكون تلك الموازنات النقدية دليلا على صدق ذلك الخطاب النقدي، ولا يتسلل إليه الضعف كونه صادرا عن عاطفة الناقدة.

[٧] إن المقاييس النقدية التي تناولت من خلالها المرأة الناقدة شعر الرجل فيها (تغزله بها) كانت منطلقة من المقاييس النقدية الصادرة عن الذائقة العربية للغزل وفي إطار العادات والتقاليد العربية.

[٨] أن المقاييس النقدية التي أرستها المرأة العربية في نقدها لشعر الرجل فيها (شعر الغزل) في القرنين الأوليين من عمر النقد العربي القديم شكلت مقاييس الغزل عند النقاد بعد عصر التدوين التي لحقت الحركة النقدية العربية القديمة في القرون التي تلت عصر النقد الشفاهي.

[٩] أن مقاييـــــس المرأة النقدية لشعر الرجل (شـــعر الغـــزل) القائمـــة على اعتماد البعد العاطفي اتجاهها والخضوع والتذلل لهـــا فيه، شاركت في صنع مصطلح الفحولـــــة الشعرية عند النقاد، وأن أولى تلك الصناعات النقدية كانت في حكومة أم جندب لمّـــا اتهمهـــا امرؤ القيس بميولاتها العاطفية في نقدها لعلقمة الذي سُمي بعد ذلـــك بعلقمة الفحل.

مراجع البحث

الأصبهاني، علي بن الحسين. (د. ت). الأغاني، (د.ط). دار إحياء التراث العربي ومؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت. (مصورة من طبعة دار الكتب).

الأفطسي، محمد بن محمد بن هبة الله الحسيني، المجموع اللفيف، تحقيق يحيى الجبوري، دار الغرب الإسلامي، (ط.١) (١٤٢٥ه- ٢٠٠٥م) بيروت.

بنت الشاطئ، عائشة، عبد الرحمن. (١٣٧٨ه- ١٩٦٧م). موسوعة آل النبي. (ط١)، دار الكتاب العربي، بيروت.

حمور، عرفان محمد. (٢٠٠٠م). سوق عكاظ ومواسم الحج. (ط١)، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت.

الخزاعي، كثير بن عبد الرحمن، (١٣٩١ه-١٩٧١م)، ديوانه، جمع وشرح إحسان عباس، (د.ط)، دار الثقافة، بيروت.

الخطفي، جرير بن عطية، (١٤٠٦ه -١٩٨٦م)، ديوانه، (د.ط)، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت.

السيف، عمر بن عبد العزيز، (٢٠٠٨م)، الرجل في شعر المرأة، (ط١)، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت.

صغير، فاطمة، جهود المرأة العربية في النقد العربي القديم، (١٠/٥/ ٢٠١٤م)، مجلة المخبر، العدد (١) المجلد (١٠)، جامعة

بسكرة، الجزائر مسترجع بتاريخ ٢٥ /٢٠٢١/٤من الرابط http://archives.univ-biskra.dz/bitstream/123456789/3607/1/23.pdf .

طيفور، أحمد بن أبي طاهر، (١٣٢٦ه، ١٩٥٨م)، بلاغات النساء، تعليق أحمد الألفي، (د.ط)، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، القاهرة.

العرجي، عبد الله بن عمر، (٢٠١٢)، ديوانه، جمع وتحقيق سجيع جميل الجبيلي، (ط٣)، دار صادر، بيروت.

الكندي، امرؤ القيس، ديوانه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٤، ١٩٨٤م.

القارئ، جعفر بن أحمد، (د.ت)، مصارع العشاق، (د.ط)، دار صادر، بيروت.

القالي، إسماعيل بن القاسم، (د.ت)، الأمالي (الذيل والنوادر والتنبيه لأبي عبيد البكري)، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، (١٣٧٧ه- ١٩٥٨م)، الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، (ط٢)، دار المعارف، القاهرة.

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، (١٤٠٥-١٩٨٤م)، المعاني الكبير، ط١، دار الكتب العليمة، بيروت.

القيرواني، إبراهيم بن علي، (١٩٧٢م)، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق وشرح زكي مبارك ومحمد محي الدين عبد الحميد، (ط٤)، دار المعارف، القاهرة.

المانع، سعاد، (١٤٣٥ه- ٢٠١٤م). المرأة ونق د الشعر في بدايات النقد العربي (قراءة لنصوص النقد المنسوبة إلى سكينة بنت الحسين)، (ط١)، نادي مكة الثقافي الأدبي، مكة المكرمة، ومؤسسة الانتشار العربي، بيروت.

مبارك، زكي، (٢٠١٢م)، حب ابن أبي ربيعة، (د.ط)، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة.

المجالي، محمد أحمد، (١٤٣٩ه - ٢٠١٧م)، المرأة الناقدة في الأدب العربي، مجلة أم القرى، مج (٥)، ع(٢٠)، موقع عين الجامعة، مسترجع بتاريخ٢٠٢١/٤/٢٥م من الرابط https://ebook.univeyes.com/111040/pdf-

المرزباني، محمد بن عمران، (١٤١٥ه- ١٩٩٥م)، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، تحقيق محمد حسين شمس الدين، (ط١)، دار الكتب العلمية، بيروت.